تحفيز ذاكرة الطفل ضحية العنف الجنسي من خلال تقنية الرسم الحر

– تجربة ميدانية على مستوى فرقة حماية الأحداث للدرك الوطني بالجزائر–

الأستاذة بوكعولة زهرة

قسم علم النفس

مقدمة

يعدّ العنف الجنسي من أسوء التجارب التي يتعرض لها الطفل داخل الأسرة أو في المحيط الخارجي. وقد تعددت تعاريف العنف الجنسي، فحسب Muriel Salmona (موريا سالمونا) (2013)، ترى أنه عبارة عن ذات طابع جنسي بوجود أو عدم وجود إتصال جسدي يكون ممارس من طرف شخص أو عدة أشخاص بإستعمال العنف، أو التهديد أو الإبتزاز أو فجأة

كما تشير Mirielle Cyr (ميراي سير) (2012) أن العنف الجنسي هو ظاهرة اجتماعية بدون حدود، تمس فئة البنات أكثر من الذكور قبل سن الثامنة عشر.كما أن البيئة التي يعيش فيها الطفل تعتبر عاملا حساسا وهاما لانتشار هذه الظاهرة.

ولقد انصب اهتمام الباحثة حول ايجاد طرق فعالة خلال اجراء المقابلة مع الأطفال، وذلك بهدف مساعدة الطفل على استرجاع الحدث الذي عاشه واعادة سرده وذلك بتحفيز ذاكرته عن طريق أسئلة مفتوحة وتقنية الرسم، فالطفل ضحية العنف الجنسي يُوَجَّهُ مباشرة إلى فرق حماية الأحداث ولا بد أن يكون الفاحص على دراية بجوانب نمو الطفل واحترام تسلسل المقابلة. ومن خلال خبرة الباحثة الميدانية لمدة احدى عشرة سنة مع فئة الأطفال والمراهقين ضحايا كل أنواع العنف وخاصة العنف الجنسي، ارتأت إتباع خطوات للعمل بهدف كسب ثقة الطفل والتقليل من الضغط الذي يعيشه، وكذلك العمل على الحصول على أكبر قدر من المعلومات لسير عملية التحقيق على مستوى مصالح الدرك الوطني. هذه الخطوات تتكون من المقابلة المعتمدة والمقترحة من طرف

الباحثة التي تحتوي على عدة محاور تتسلسل من حيث الأحداث الشخصية، والسيرة الذاتية للطفل المعتدى عليه جنسيا، موضوع الدراسة، طبقت مع الطفل وولي أمره، وهذه المحاور: المتعلق بالطفل هو محور المعلومات الذاتية والأحداث في الطفولة، محور الحياة المدرسية، والمتعلقة بالاسئلة الموجهة للأولياء تمثلت في محور الأسئلة حول الحالة، محور الحالة العائلية، محور العلاقات الاجتماعية، محور الأحداث المدرسية للحالة، محور خاص بوقائع العنف الجنسي، وتتكون المقابلة النصف موجهة التي اعتمدناها على عدة محاور تتسلسل من حيث الأحداث الشخصية، والسيرة الذاتية للطفل المعتدى عليه جنسيا موضوع الدراسة، وهذه المحاور متكونة من مجموعة من الأسئلة.

وكما تعتمد الباحثة على تقنية الرسم الحر، فمن خلال دراسة مليكة ولويس كامل في كتاب دراسة الشخصية عن طريق الرسم (1993) أكدت أن الرسم الحر يعطي فرصة للمفحوص ليعبر عما يدور بداخله دون التقيد بمعلومات أو الإشارة إلى رسم شيء معي، كما يعطي فرصة للفاحص لمعرفة ما يدور في خيال المفحوص من مشاعر وأفكار لا يستطيع التعبير عنها بالألفاظ، وبالتالي فإن دراسة مثل هذه الرسوم هامة من الناحية التشخيصية حيث تكشف عن الحاجات العميقة والصراعات الانفعالية والحياة التخيلية والعلاجية، حيث أنها تسمح للمفحوص بالتنفيس أحيانًا عن نوازع عدوانية يصعب التعبير عنها لفظيًا.

يفرض علينا البحث العلمي إتباع خطوات منظمة وهادفة من البداية، إثر تحديد أهدافه وأسسه إلى آخر محطة منه عند التوصل إلى نتائجه، فهو كما يؤكد بوحوش والذنيبات(1989)، يتمثل في التحري والاستقصاء المنظم الدقيق الهادف للكشف عن حقائق الأشياء وعلاقاتها ببعضها البعض وذلك من أجل تطوير الواقع الممارس لها أو تعديله.

من هنا كان تساؤلنا كالاتي:

هل تقنية الرسم الحر تدعم المقابلة النصف الموجهة لمساعدة الطفل لهدف تحفيز ذاكرته لاسترجاع ما تعرض له من عنف جنسي من خلال السرد؟

الفرضية :

تقنية الرسم الحر تعتبر من التقنيات الفعالة في حالات العنف الجنسي لتحفيز ذاكـــرة الطفل للاسترجاع من خلال السرد في مجريات المقابلة النصف الموجهة

1.منهج البحث:

اعتمدت الباحثة في بحثها الحالي، على المنهج الوصفي نمط دراسة حالة (سهير بدير، 1989)

2.أدوات البحث:

قامت الباحثة بجمع البيانات الأولية والضرورية لفهم الحالة أو المشكلة وتكـــوين فكرة واضحة وكافية عنها ، أي توسيع قاعدة المعرفة عن الحالة أو المشـــكلة المطلـــوب دراستها وقد وقد اتبعت الباحثة خطوات للحصول على البيانات والمعلومات في دراسة وهي كالأتي:

- **تقنية رسم الحر**. (مليكه لويس كامل، 1994)

المقابلة النصف موجهة حول ذاكرة الخـــبرات الشخصـــية Mireille Cyr & (Marc Tourigny 2012)

3. عينة البحث

اشتملت عينة البحث الحالي على حالة فتاة تبلغ من العمر 12 سنة ضحية زنا المحارم وطبقت على هذه الحالة تقنية الرسم الحر والمقابلة النصف الموجهـــة لدراســـة ذاكـــرة الخبرات الشخصية، وهذه الطريقة طبقتها الباحثة في مختلف الفرق الاقليميـــة للـــدرك الوطني على كل فئات الأطفال بمختلف الأعمار الذين تعرضوا للعنف الجنسي.

4. نتائج الدراسة

قامت الباحثة بجمع البيانات الأولية والضرورية لفهم الحالة أو المشكلة وتكوين فكرة واضحة وكافية عنها ، أي توسيع قاعدة المعرفة عن الحالة أو المشكلة المطلوب دراستها وقد وقد اتبعت الباحثة خطوات للحصول على البيانات والمعلومات في دراسة.

ـــــ الحالـــة (ش ـــــ زهرة) 12سنة ضحية زنا محارم

بتاريخ 2014/05/11 تقدم إلى مصالح الدرك الوطني أم الطفلة ش ـــــ زهـــرة لتقديم شكوى مفادها أن ابنتها تعرضت إلى اعتداء جنسي من طرف أبيها، على اثرها تم ابلاغ وكيل الجمهورية وقدمت تسخيرة لاجراء الفحص الطبي الشرعي للطفـــل، بعـــد نتائج الفحص الطبي، تم الاتصال بفرقة حماية الأحداث والأخصائية النفســـانية التابعـــة للفرقة المتمثلة في الباحثة، لغرض تقديم يد المساعدة وتقديم تقرير الخبرة النفسية للطفل. وضعت الطفلة تحت تصرف الباحثة للغرض المطلوب وتدعيم الملف بتقرير الخبرة النفسية بعلم من ولي أمر الطفل كما تمت الاستعانة بالتشخيص الطب الشرعي (تقرير الطـــب الشرعي وجود أثار لفعل متكرر توسع فتحة الشرج مع فض البكرة).

– في بداية المقابلة سجلنا شرود ذهني، عدم التركيز، قلق شديد، الالتفـــات يمينـــا وشمالا، قابضة يديها، شاحبة الوجه.

– ولكسب ثقة الضحية جلسنا بجانبها وفتحنا مجال للحوار بعيد عن الفعل الـــذي تعرضت له الحالة. بحيث شرحنا للضحية مجريات المقابلة.

– الحالة ترفض الخوض في الحديث مشيرة إلى رفضها تواجد رجل (دركي) في القاعة.

طلبنا من الحالة أن ترسم لنا شيئ يدل على سبب تواجدها معنا اليـــوم، الطفلـــة وافقت الفكرة وأخذت القلم من دون كل الألوان وبدأت في الرسم الحر

●تقنية الرسم الحر

للتخفيف من حدة القلق المسجل عند الطفلة اعتمدنا في الخطوة الموالية على الرســـم كتكملة للمقابلة النصف الموجهة عن طريق الرسم الحر والتي تعتبره الباحثة كنشاط لعبي لكسب ثقة الطفل، للدخول إلى وقائع الاعتداء. طلبنا من الطفل أن يرسم لنا شيئ يدل على سبب تواجده معنا اليوم، الطفلة وافق الفكرة ويأخذ القلم من دون كل الألـــوان ويبدأ في الرسم الحر

ـــــ الطفلة (زهرة) تعمد على مسطرة وتطلب سيالة سوداء، ترسم بيت ليس بـــه باب، وهذا يدل على مشاكل تتعلق بالشعور بالنقص سوء تقدير الذات والوحدة، رسم

المترل يتوسطه الاب بصورة غريبة وتقول(أبي دائما متواجد في البيت) أما الأم متوجدة خارج المترل ـــــرسم يدل على دلالات عاطفية سلبية، ورسم المترل بدون ألوان وبدون باب فانه من خلاله يعبر الطفل عن مشاعر النفور مظهرا لنا مستوى ونوعية المشاعر التي تدعمها الأسرة وعن طبيعة النسق الأسري الرضي الطفل العرض (Ferraris Oliverio, A. 1980).

ـــــ عن وقائع الاعتداء اذكر الطفلة أنه يوم الثلاثاء عند رجوعها من المدرسة وجدت أبيها لوحده في المترل، وعلى غير العادة حضر لها الفطور وقام بمداعبتها وعند رفضها ضربها واعتدى عليها وهددها بقتلها اذا ما أخبرت امها... تضيف أنه يعمل نفس الشيء مع أخواتي.

عند الانتهاء من الرسم طلبنا من الحالة أن تشرح لنا ما رسمت واعتمدنا خلالها على الاسئلة المفتوحة لمساعدة الحالة على سرد التفاصيل بكل تلقائية.

بعد الانتهاء من الرسم واصلنا عملنا مع الحالة (ش ـــــ زهرة)، حيث دامت ساعة من الزمن، للتمكن من الحصول على معلومات وافرة وصحيحة وتعمدنا في كل مرة إعادة الأسئلة المفتوحة للتأكد من صدق المعلومات المذكورة

ـــــ محور المعلومات الشخصية :الإسم: (زهرة) العمر: 12 سنة، لكن الطفلة لا تتذكر تاريخ ميلادها، فحين تتذكر عيد ميلاد أختها الكبرى.

- محور المعلومات العائلية وأحداث الطفولة: نعيش في سكن فوضوي أنا وأمي واخواتي، وأبي خرج من السجن منذ شهرين، لم نعتد العيش معه، اخواتي لا تدرسن . الأب: بطال (كان يسرق). أما أمي(تخدم عنكم) (الام تعمل طباخة عند مصالح الدرك).أبي يتعاطى المخدرات ويشرب الخمر ويعطي لأخواتي حبوب. دائما أسمع أمي تتشاجر معه. لا أحب مترلنا لأنه يعيش معنا، يمنعني على مرافقة صديقاتي، عندما أطلب نقود يضربني ويقول (حاجة ماباطل).

ـــــ مباشرة عندما سألنا الطفلة (هل تتذكري حادثة مهمة وقعت لك في طفولتك؟) ترد مباشرة أنها تتذكر أن الشرطة دخلت مترلنا للتفتيش عندما خرج أبي من

السجن (هدفنا دائما التأكد من درجة وقدرة استرجاع الطفل للأحداث)، سألناها اذا ما كانت تتذكر شيئا أسعدها مؤخرا، فكان جوابها بحركة الرأس بالنفي.

-محور خاص بالأحداث المدرسية: لمدرسة التي أدرس ليست بعيدة عن سكننا، فهي تقع بالقرب من منزلنا ببرج الكيفان واسمها مدرسة. البشير ابراهيمي، عن أول يوم للمدرسة أمي رافقتني، كنت سعيدة جدا لأصبح طبيبة (كيما نتي)، لا أستطيع الحفظ أو تحضير فروضي، أمي تصرخ كثيرا وتطلب مني مساعدتها، أبي يضربني كثيرا (ما يحشمش يدير العيب).

●تحليل نتائج المقابلة

فيما يخص محور المعلومات الشخصية نلاحظ أن زهرة رغم مستواها الدراسي المتدني الا أن لديها ذاكرة مرحلية جيدة فهي تتذكر كل المعلومات الخاصة بها، تأكدنا من صحة المعلومات من خلال المقابلة مع الأم، أما عن محور المعلومات العائلية وأحداث الطفولة فقد ذكرت الطفلة التفاصيل المعاشة بالتفصيل وكذا حدث تفتيش المنزل، كما يظهر ذلك من خلال المقابلة مع الأم التي ذكرت بأن ابنتها صغيرة و لم تصدقها في أول وهلة، وتقول انها لاحظت تغيرات سلوكات زوجها مع ابنته ولكنها لم تشك للحظة ان يكون قد اعتدى عليها. الذاكرة المرحلية عند الطفل قوية جدا، تصور الطفلة لحقيقة الفعل واسترجاعه للتفاصيل كان بطريقة دقيقة، وهذا ما توصلت اليه لما دراسة Mireille Cyr (ميراي سير) (2012). اذ لم نسجل أي تراجع أو تغيير للسرد. وقد تأكدنا من خلال مجريات المقابلة النصف الموجهة الأولية أن للطفل القدرة على استرجاع الأحداث الماضية بكل سهولة، وفيما يخص الاعتداء فقد أعطت سردا متوازن وكامل للواقع، ومن خلال تقنية الرسم الحر تمكنا مواصلة لمراحل المقابلة التوصل إلى التأكد من السرد.

الخلاصة

تقنية الرسم الحر تعتبر من التقنيات الفعالة في حالات العنف الجنسي لتحفيز ذاكرة الطفل للاسترجاع من خلال السرد في مجريات المقابلة النصف الموجهة فذاكرة الخبرات الشخصية عند الطفل العادي مرتبطة بعملية التداعي التي تثير الخبرات الذكريات الماضية.، وهذه العملية

تختلف عند الطفل الذي تعرض إلى أي شكل من اشكال العنف الجنسي اذ تصبح عملية الاسترجاع صعبة(Mireille Cyr & Martine Hébert ,2012)

وفي الكثير من الأحيان مستحيلة ولهذا فانه من خلال استعمال تقنية الرسم الحر استطاعت الباحثة من خلال عملها مع هذه الفئة من الاطفاال أن تصل إلى مساعدة الطفل لتحفيز ذاكرته لاسترجاع من خلال السرد ما تعرض له من عنف، وهذه التقنية تسهل كذلك مجريات المقابلة النصف الموجهة.

المراجع باللغة العربية

1.مليكه لويس كامل (1994). دراسة الشخصية عن طريق الرسم. ط 7. القاهرة، دار المعارف للنشر.

2.عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات.(1989).مناهج البحث العلمي وطرق اعداد البحوث.الجزائر، ديوان المطبوعات

3.عطوف محمود ياسين(1987). علم النفس العيادي. ط2. بيروت، دار العلم للملايين.

4.سهير بدير(1989). البحث العلمي تعريفه: خطولته ومناهجه، الاسكندرية، دار المعارف.

المراجع بالغة الفرنسية

1.Ferraris Oliverio, A. (1980).Les dessins d’enfants et leurs significations, belgique, édition Marabout.

2.Martine Hébert ,Mireille Cyr et Marc Tourigny. (2012). L’agresson Sexuelle Envers Les Enfants, Collection Santé et société, Presse de l’université du Québec,

3.Muriel Salmona.(2013).le viol, crime absolu ,la Revue Santé mentale ,176.

4.Schutt R. Investigating The social Work (1996). the process and practice of Research. Thcusand Oaks. CA: Pine Forge Press